

مقاربات في تحليل الخطاب الكاريكاتيري

فاطمة محمد العليمات*

ملخص

تسعى هذه الدراسة في سياق الكشف عن جملة من العناصر التي تجعل من الخطاب الكاريكاتيري خطاباً سيميائياً تداولياً، بالنظر إلى خطوطه وألوانه وظلاله ولغته البسيطة الموجزة، وما تحمله من قدرة في تحميل رسالة يمكن أن تفهم بطريقة مباشرة وسهلة، أو غير مباشرة، رسالة قادرة على تشكيل وعي مسبق لدى متلقيها عن قضية ما في هذا العالم، متوسلة مجموعة من الرسومات الكاريكاتيرية المنجزة للكشف عن هذه المقاربات وتبينها.

الكلمات الدالة: مقارنة، كاريكاتير، أيقون، لسانيات، تحليل.

المقدمة

والخطاب هنا كما يعرفه الجابري "مجموعة من النصوص لها جانبان: ما يقدمه المرسل وهو (الخطاب) وما يصل المتلقي وهو التأويل. أما السيميائي فهو العلم الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس. أما التداولية فهي دراسة اللغة في أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية، أي الحوارية والتواصلية.

وقد دفعتني ثمة أسباب للبحث في هذا الموضوع، لعل أبرزها: قلة الدراسات التي التفتت إليه، والرغبة في دراسة الواقع اللساني والسيميائي لأحد مجالات استعمالها وهو الخطاب الكاريكاتيري، لا سيما أن هذا الخطاب قد تميز عن غيره من الخطابات بربطه الدرس اللغوي بالحياة الواقعة المعاصرة متخذاً من رسوماته وألوانه وعباراته الموجزة وسيلة لمعايشة الواقع وتناول قضاياها بأسلوب ممتع ومميز من بين الأشكال الخطابية، ناهيك عن شيوع تداوله على صفحات الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي والشبكات العنكبوتية والمدونات الإلكترونية المتخصصة في الكاريكاتير.

وقد اعتمدت في الدراسة على تناول عينة من الرسومات الكاريكاتيرية الموجودة في الصحف المحلية أو بعض المواقع الخاصة برسامي الكاريكاتير لتكون ميدان الدراسة التطبيقي للمقاربات التي يتضمنها الخطاب الكاريكاتيري.

وقبل اللجوء إلى عالم الكاريكاتير وقراءة بعض رسوماته، لا بدّ من التعرّيج على تاريخية هذا المصطلح ودلالته.

بعدُ الفنان الفرنسي (أورنيه دوميه) الأب الروحي لفن الكاريكاتير المعاصر بكلّ مراحلها التي وصل إليها فنانون الكاريكاتير في الصحافة العالمية اليوم، وإليه يرجع الفضل في شد انتباه العالم لهذا الفن الذي أصبح لغة عالمية، وأن صحيفة (الكاريكاتور) أول صحيفة هزلية مصورة في العالم اعتمدت

يمثل الرسم الكاريكاتيري أحد الأنماط التواصلية للتعبير عن أفكار مُنتجها عبر الوسائط الإعلامية المكتوبة أو المرئية الثابتة أو المتحركة بأسلوب غير مباشر، يتجه فيه رسام الكاريكاتير نحو المتلقي قصد دفعه إلى التفكير، وترسيخ الفكرة التي يريد إيصالها في ذهن المتلقي والتأثير عليه؛ فالهدف من الكاريكاتير " تحميل رسالة يمكن أن تفهم بطريقة مباشرة وسهلة لما يحتويه هذا الفن من إشارات وإيماءات مبسطة قادرة على تشكيل وعي مسبق لدى القارئ عن قضية ما في هذا العالم، بحيث تكون الصورة جاهزة للاستدعاء عند الحاجة لتبرر أي عمل (Hansen, 1998)".

وللكاريكاتير دور كبير في توجيه الرأي العام بأسلوب جميل ينهض على ترتيب من العبارات المكتوبة المتمسة بالإيجاز والإيقاع البسيط أحياناً داخل إطار من الصور والخطوط والألوان والظلال، لذا فهو يحظى باهتمام كبير بين مختلف شرائح المجتمعات.

وقد جاءت هذه الدراسة محاولة البحث عن جملة من العناصر التي تجعل من الخطاب الكاريكاتيري خطاباً سيميائياً وتداولياً، بالنظر إلى تلك الخطوط والصور والألوان والظلال واللغة البسيطة الموجزة وما تحمله من قدرة على التبليغ وبث الأفكار، وما تضيفه من عناصر جمالية وفنية تؤثر في المتلقي، متوسلة مجموعة من تلك الرسومات للكشف عن جملة من المقاربات في تحليل خطابات تلك الرسومات.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2015/12/13، وتاريخ قبوله 2016/1/13.

إلى معنى معين إلى حد ما ويوجه ذهنه نحو المعنى المركزي أما الرسومات فتساعد على ملء الفراغات التي يتركها النص اللغوي وتتيح تأويل المعنى والخروج بمعنى كلي عام من خلال اندماج المعنى اللغوي مع دلالة الرسومات.

وإذ عاينا المنجز الكراكاتيري في بعده الخطابي نجد أنه يتكون من مرسل وهو (الرسم)، ومستقبل وهو (المتلقي)، وخطاباً وهو (النسق غير اللغوي، أو النسق غير اللغوي مصحوباً بنسق لغوي).

ويمتاز الخطاب الكراكاتيري عن بقية أنواع الخطاب الأخرى التي تستخدمها الصحف في بث رسائلها، وإن كانت تشبهها في بعض الأحيان كاستعانتها ببعض الأنساق اللغوية أو الصور التوضيحية.

وإذا نظرنا إلى بنية الخطاب الكراكاتيري نجد أنه يجمع بين نسقين:

أولهما: تكون العلامة اللسانية أدواته، وتكون أكثر حضوراً من الرسومات في نقل الفكرة المراد التعبير عنها وبثها.

وثانيهما: أيقوني وتكون العلامة البصرية المتمثلة بالخطوط والألوان وغيره أدواته المهيمنة في توجيه الرسالة المقصودة.

ويعزى سبب هيمنة النسق الإيقوني (غير اللغوي) المتمثل بالرسومات إلى الوظائف التي يؤديها الرسم الكراكاتيري؛ فالرسم الكراكاتيري يعبر في رسمه بطريقة تؤدي وظيفة كأي وظيفة أخرى في وسائل الاتصال الجماهيري بشكل عام، ومن هذه الوظائف: (القضاء، 2008)

أولاً: الوظيفة الخبرية:

يقدم الكراكاتير معلومات عن الحدث تحوي بعض عناصر الخبر الرئيسية؛ كالخبر عن مكان وقوع الحدث، أو تاريخه...

ثانياً: الوظيفة الجمالية:

يعد الكراكاتير صلة الوصل بين الفن التشكيلي وجمهور القراء؛ فالمشاهدون يتذوقون الفن الكراكاتيري ويستطيعون فهمه، لأنهم تعودوا على تقبل خطوطه، والشعور بجماليته.

ثالثاً: الوظيفة الاستهلاكية:

يؤدي وجود الكراكاتير على صفحات الصحف والمجلات إلى تأمين جمهور أوسع للصحيفة أو المجلة أو الموقع.

رابعاً: الوظيفة التربوية:

عندما يقوم الكراكاتير بانققاد ظاهرة سلبية، فإنه يوجه أنظار المجتمع بشكل غير مباشر إلى الطريقة المثلى في التعامل مع هذه الظاهرة.

خامساً: وظيفة معلوماتية:

تستخدم الرسومات الكراكاتيرية في تزويد القارئ بالعديد من المعلومات.

على الكراكاتير مادة أساسية فيها، وذلك في عام 1830 على يد الصحفي والرسام الفرنسي المشهور شارل فليبون، ثم تبعها صحف كراكاتيرية أخرى (القضاء، 2008).

أما في دلالة مصطلح الكراكاتير أو الرسم الساخر فهو "مصطلح دخيل على اللغة العربية، وقد استخدم لأول مرة في مجال السخرية بالتعبير الخطي والرسم والنحت، ولم يستو لفظ الكراكاتير مصطلحاً دقيقاً إلا مع نهاية القرن السادس عشر تقريباً" (البوجديدي، 2013)، والكراكاتير "رسم ساخر لإظهار نقائص شخص أو عمل، والجمع منه كراكاتيرات" (معجم المعاني).

أما أنواع الكراكاتير فتتقسم تبعاً للمضمون الذي تتناوله، ولكنها تتمحور في أربعة محاور رئيسية هي: (حمادة، 2000) **أولاً:** الكراكاتير السياسي: ويوظف لمعالجة موضوعات سياسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كأن يتحدث عن الحكومات والبرلمانات، وانتقاد السياسات الخارجية والداخلية... ويعد الكراكاتير السياسي وسيلة فاعلة للتعبير عن وجهات النظر والآراء المناهضة والمعارضة، وهو من أكثر الأنواع جذباً للقراء.

ثانياً: الكراكاتير الاجتماعي: ويعالج القضايا والموضوعات الاجتماعية التي تمس حياة الناس: كقضايا الفقر والبطالة، والعادات والتقاليد، والنسول، والتعليم وارتفاع الأسعار والسكن... والكراكاتير يقدمها بطريقة تطرح سبلاً للعلاج وتساعد في حلها بطريقة نقدية.

ثالثاً: الكراكاتير الفكاهي، ويهدف إلى إثارة الضحك والفكاهة فقط بغض النظر عن توجيه النقد لأحد، وهو لا يقل أهمية في وظيفته الترفيهية عن وظائف وسائل الإعلام الأخرى.

رابعاً: الكراكاتير البورتريه: وهو الذي يصور وجه شخصية معينة بشكل ودي مثل تصوير المشاهير، أو الأصدقاء، أو الشخصيات الاجتماعية وقد يكون التصوير محايداً لإثراء قصة خبرية أو تقرير، أما الشكل الهجائي فيحتوي أحياناً على بعض المبالغات أو الإضافات المهيمنة إلى الوجه أو الجسم بشكل مثير للنقد والسخرية يسيء للشخص.

ويستخدم الكراكاتير أدوات تعبيرية مختلفة لبناء فكرته كالخطوط والألوان والظلال... ويتخذ طريقتين لنقل رسالته وأفكاره إلى جمهوره؛ فقد يركن إلى تقديم لوحة تشكيلية بكل مكوناتها وأبعادها مسقطاً اللغة أو إرفاق أي تعليق، وقد يقدمها مصحوبة ببعض النصوص أو العبارات أو الكلمات للتعبير عن بعض الأشخاص أو المواقف؛ فالنص اللغوي المضاف للوحة الكراكاتيرية يقدم وظيفة توجيهية؛ إذ يلفت انتباه المتلقي

سادساً: وظيفة اتصالية:

يقوم الكاريكاتير بنقل مضمون الرسالة عن طريق الرموز؛ فهو وسيلة الاتصال بين الفنان والجمهور.

سابعاً: وظيفة الإثارة والإبداع:

يستخدم هذا النوع من الكاريكاتير كشعار أو دلالة على الرسام بحيث يظهر وكأنه توقيع على الصحيفة.

ثامناً: الوظيفة الترفيهية:

يعطي الكاريكاتير القارئ فرصة أكبر لكي يستوعب أكثر؛ فالكاريكاتير يلعب دور المنشط، فبعد أن يكون القارئ قد ملّ القراءة فإنّ الكاريكاتير يعطيه نوعاً من الراحة التي تساعده على الاستمرار في قراءة الصحيفة أو المجلة.

المقاربات التي كشفت عنها قراءة الرسوم الكاريكاتيرية.

عمد هذا البحث إلى قراءة بعض اللوحات الكاريكاتيرية وتحليل خطاباتها للكشف عن جملة من المقاربات القائمة على مجموعة من القواعد اللسانية والسميائية.

وقد اتخذ البحث مادته من نصوص كاريكاتيرية عالجت قضايا مختلفة، وقد اختيرت هذه النصوص بطريقة عشوائية من الإنترنت والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي للعديد من فناني الكاريكاتير أمثال جلال الرفاعي وعماد حجاج وناجي العلي وغيرهم، وقد بلغ تعدادها مئة لوحة كاريكاتيرية، ولم يضبط الاختيار إلا أن يكون رسماً كاريكاتيرياً يعبر عن موضوع أو فكرة ما.

إنّ الرسم الكاريكاتيري يمثل عملاً احترافياً يبنى على تضافر علوم مختلفة؛ كاللسانيات العامة وما يندرج تحتها من ظواهر لغوية: صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، واللسانيات التطبيقية؛ كاللسانيات الاجتماعية والنفسية والتعليمية... والعلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم الاتصال... وبما أنّ الرسم الكاريكاتيري يقع في إطار التواصل الإنساني، فإن تحديد دلالاته ينهض على تفاعل الصورة مع اللغة في إطار جملة من الظروف المحيطة باللوحة الكاريكاتيرية بفضائيتها؛ الداخلي، المتمثل في الألوان والخطوط والظلال والكلمات والجمل. والخارجي، المتمثل في السياقات الواردة فيه من ظروف سياسية واجتماعية وثقافية، وما يرافقها من مرجعيات ذات صلة بباط الرسالة وما يلزمها من مرجعيات ومعلومات ذات صلة بالمتلقي.

وقد كشفت قراءة اللوحات الكاريكاتيرية عن المقاربات الآتية:

أولاً: المقاربة اللسانية:

يقتضي النظر في هذه المقاربة الانطلاق من النسق

اللساني، وهو النص اللغوي بتحقيقاته الصوتية والصرفية والنحوية والكتابية والأسلوبية والدلالات المتحققة عنها؛ أي الرسالة التي يريد بثها رسام الكاريكاتير.

ومن الجدير ذكره أنّ النسق اللساني أو النص المكتوب قد يعجز أحياناً أو يقصر في نقل الفكرة تماماً، أو أن منتجه قد يرغب في السكوت عن بعض الأشياء فيلجأ إلى بلاغه الصورة المرافقة لتقوم بهذا الدور في إيصال المعنى المقصود وسدّ الفراغ.

وبعد التمعّن في البنية اللسانية لمنجز عينة الرسوم الكاريكاتيرية التي اختيرت كنماذج للدراسة التطبيقية يمكننا أن نشير إلى الخصائص اللغوية التالية المميزة لها:

1- الخصائص الصوتية:

إنّ النسق اللساني في الرسوم الكاريكاتيرية يتألف من أصوات تشكّل في مجموعها أبنية صرفية تتعالق فيما بينها لتشكل بنية نحوية في إطارات سياقية معينة تحمل رسالة ما.

وقد كشفت الدراسة عن ثمة ظواهر صوتية استخدمها رسامو الكاريكاتير استخداماً جيداً في رسوماتهم، وهي:

أ. الإبدال: ويطلق "على التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتاً آخر" (عبد التواب، 1995)، ومن صور الإبدال في لغة اللوحات الكاريكاتيرية:

- إبدال الذال زايًا وذلك للقراءة الصوتية بينهما؛ فالذال هي النظير بين الأسناني للصوت الأسناني اللثوي الاحتكاكي المجهور الزاي، ومن الأمثلة على ذلك:

أريح قانون انتخابات عصري ولزير مع نجم كوتا كولا

وآلو كيفك لولو؟ خير بابا ليش مغرب ماما؟؟...

- إبدال الضاد ظاءً، مثل: اشتري شماغ عمان وبالمرة العواصف الرملية المحتملة... وبوصلة وتذكارات عمان وبالمرة تنساش إبرق الوظو وسجادة الصلاة والسلاح الشخصي!!

- إبدال الذال ظاءً، مثل: لسه بابا هاظ أذان العصر، وأولاً هاظا بمبكش يا هبله.

- إبدال الذال دال، مثل: معروف ليش جايب هادا الرشاش معك؟!

ب. السجع: وهو ما توافقت فيه فاصلتا الكلام على صوت واحد، وقد ظهر استخدام السجع في عينة الدراسة بنسبة لا بأس بها، ومن الأمثلة عليها الآتي:

- الشعب يريد كازينو وغازينو وخبرينو يا حكومات الكازينو.

- مابدي عريس! بس بدّي أرتاح من هالاسم التعيس.

- دا حلمنا طول عمرنا حزن يضمننا كلنا كلنا.

- لو كنتو محلنا لعملتو زينا، حاميه حراميه أحسن من واطيه يصير عاليه.
- أنا بحب موسيقى الجاز - وأنا بحب موسيقى الغاز.
- ويا فايز إدعس بنزين على 190-195 - ويا فايز دوس على هالشعب المتعوس.
- ويا فايز ارفع هالرفعة... الله يخليك هالصلعة.
- بيت الضيق بيوسع ألف صديق.
- ج. الجنس: وهو اتفاق أو تشابه كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وهو نوعان؛ جناس تام: وهو ما اتفقت فيه الكلمتان في نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها، وجناس ناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف أو عددها أو ترتيبها أو ضبطها.
- أنا بحب موسيقى الجاز - أنا بحب موسيقى الغاز.
- يا مجرم يا مغتصب من حقي اختار شريك حياتي - وأنا من حقي حسب المادة (308) أكون شريك حياتك.
- واللي فات مات.
- نفي النفي إثبات، قلتي كل ما حدا سألك بتنفي!! زمان معك هالحالة؟؟؟ أي حالة؟؟؟ أنا بنفي أنني قلنتك أي أشي !!!
- أنا سعري بسعر هالناس الغلابي معي عشر ليرات وبدي أعرف شو أرخص شي.
- أبداً دكتور!... لأنني اشتغلت بالواسطة شغلة ما بفهم فيها...
- والرسوم الجمركية ورسوم الجامعات والمدارس الخاصة والرسوم الأخرى... كلها رسومات مسيئة !!
- شهر رمضان.. شهر الفرج.. مش الفرجة! شهر الطاعات.. مش الطلعات.. شهر الصبر.. مش الهبر !!
- تمييز البعير من الشاة، في حكم الدردشة و"الشات".
- د. مدّ الصوّت: ويتمثل في:
- مدّ صوت العلة (الواو) بتكرار هيئة رسمه، مثل: فروووووم، ولولولولوليش.
- حذف الهاء ومد الضمة وكتابتها على شكل واو، مثل: طيب مين بيمون على سعادتو؟ حضرته! طيب مين بيمون عا حضرة جنابو؟ مدامتو! طيب مين بيمون على مدامتو؟ حماتو!...
- وأنت يا حمودة بدي أعطيك شارع مكة من أولو....
- ورقمي الوطني خلّيتو بالواسطة مميز....
- ه. الغنائية: وتتمظهر في اقتباس رسام الكاريكاتير عبارات من أغنيات شائعة تتواءم ومضمون الرسالة الكاريكاتيرية، مثل:
- دا حلمنا طول عمرنا حُضن يضمننا كلنا كلنا
- يا ست الحبايب.
- وأنا مالي
- شفتي القمر شو كبير؟ قد القمر بحبك.
- و. الجمل المتساوية: وذلك بأن يلجأ الرسّام إلى استخدام جمل متساوية في أطوالها ومقاطعها الصوتية بغية ترك وقع موسيقي في أذن القارئ يساعد في تحقيق هدف اللوحة الكاريكاتيرية، ومن ذلك:
- الغياب 1- الرجولة العربية 2- الكرامة العربية 3- الشرف العربي.
- في الماضي * صحة الجنين * جنس الجنين * شكل الجنين * يشبه مين.
- لافتات تحتاج إليها في رمضان * لا للأكل والشرب * لا للموسيقى والأغاني * لا للنميمة والشتم * لا للبصبة.
- شهر رمضان... شهر الفرج... مش الفرجة. شهر الطاعات... مش الطلعات. شهر الفتوحات... مش الفتحات. شهر الرحمة... مش اللحمة. شهر الصبر... مش الهبر.
- ومما لا شك فيه أن ورود بعض هذه الخصائص جاء لغاية وهدف في نفس باث اللوحة الكاريكاتيرية؛ فتكرار كتابة الحروف مثل تكرار حرف الواو في كلمة (فرووووم) يعبر من الناحية الدلالية على المبالغة في التعبير عن الفكرة التي يتناولها الباث كما أنه يؤدي إلى لفت أنظار القراء لهذه اللوحة.
- أما فيما يتعلق بالخصائص الأخرى كالسجع والجناس ومدّ الصوت والغنائية والجمل المتساوية، فلا يخفى على أحد مدى تأثير هذه الإيقاعات في أذن القارئ وجذب انتباهه لقراءة اللوحة الكاريكاتيرية حتى نهايتها ومن ثم الوصول به إلى مبتغى الباث من رسالته الكاريكاتيرية.
- 2- الخصائص الصرفية:
- بما أنّ النسق اللساني في الرسومات الكاريكاتيرية نص قائم بذاته فقد كان طبيعياً أن تظهر فيه تنوعات كبيرة في الأبنية الصرفية، كاسم الفاعل واسم المفعول والمصدر...
- غير أن البحث في هذه التنوعات كشف عن مجيئها بشكل طبيعي كأبي نصوص لغوية أخرى، إذ لم يكن هناك بناء صرفي معين استحوذ على النصوص اللغوية الواردة في اللوحات الكاريكاتيرية، لذلك لم تعتمد هذه الدراسة إلى الإشارة إلى تلك الأبنية الواردة فيها.
- 3- الخصائص النحوية:
- كشفت الدراسة أنّ ثمة ميلاً في لغة اللوحات الكاريكاتيرية

- يحولوا إلنا إياهن!! تخفيض رواتب رئيس وزراء فرنسا
30 بالمئة!

- سأترك مكاني للشباب....!

ومن الملامح النحوية التي أظهرتها عينة البحث، استخدام رسام الكاريكاتير استراتيجية الحذف عند صياغة نصه اللغوي متكئاً على بلاغة الصورة وإحياءاتها وتفاعلاتها وانصهارها مع النص في الإشارة إلى المحذوف وتقديره وإتمام الرسالة المراد إيصالها. و"الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطرق، وأتم ما تكون إذا لم تُثن" (الجرجاني، 1989).

ومن الواضح هنا أن المرسل (الرسام) يعول كثيراً على قدرة المتلقي الحسية ونشاطه الخيالي ومرجعياته اللغوية والثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية....، في تقدير المحذوف وملء الفراغ.

ونلاحظ هنا وكأن التركيب اللغوي وبما يحمله من مضمون مكون من جزأين: نص (كلمة أو عبارة) وأيقونة (صورة).

وبذا قد نسمي هذا التركيب - إن جاز التعبير - تركيباً لسانياً أيقونياً، أو لسانياً سيميائياً، وبذا نصبح أمام أسلوب جديد من أساليب التعبير عن فكرة ما، وهنا لا أقصد بالأسلوب الجديد مجيء الصورة الموضحة أو المبيّنة أو المفسرة للمعنى التي إذا أسقطت من سياق النص لا تؤثر في إيضاح المعنى، وإنما أعني الصورة التي تمثل ركناً أساسياً في السياق وتقف إلى جانب النص لإتمام معناه، والصورة التي إذا أسقطت من السياق لم يعد للنص معنى أبداً.

وقد أظهرت عينة البحث استخدام هذه الاستراتيجية بشكل لافت، وبمكنا أن نمثل هذا بعينة من اللوحات الكاريكاتيرية الآتية؛

- المثال الأول:



إذ نظرنا إلى هذه اللوحة نجد أن الرسام الكاريكاتيري، وظّف اللغة والصورة معاً للدلالة على المعنى الذي يريده فكانت كلمة (الهائم) تمثل المبتدأ، أما الخبر فهو محذوف كنص لغوي معاين، وقد عوّض عنه بالصورة معتمداً على مرجعيات المتلقي المختلفة في ملء الفراغ المحذوف، وبذا جاءت الرسالة على النحو الآتي:

إلى الجمل الاسمية؛ فقد ظهرت بشكل جلي في ثنايا الأنساق اللغوية الواردة فيها، كما أظهرت عينة البحث قلة الجمل الفعلية نسبياً ولا سيما في عناوين اللوحات؛ حيث تبين أنّ عدداً كبيراً من النصوص اللغوية (العناوين الرئيسية) تخلو تماماً من الجمل الفعلية، أما إذا انتقلنا إلى الأنساق اللغوية الواقعة أسفل العناوين، فالحالة ليست بأفضل إذ إنّ ظهورها كان متواضعاً جداً أما ورودها بشكل مباشر دون أن تعلوها العناوين فيرد في النصوص الكاريكاتيرية ولكن بنسبة أقل من ورود الجمل الاسمية، ومن الأمثلة على ذلك:

أ. ورود الجمل الاسمية:

- العودة إلى المدارس.
- حلول عصرية.
- رهبة الحرية.
- نصائح للسناقر المقبولين في الجامعات هذا العام.
- صراع البقاء.
- تواصل اجتماعي.
- تمييز البعير من الشاة، في حكم الدردشة و"الشات".
- وتبدو أهمية استخدام الجمل الاسمية في اختصار لغة الفكرة وتكثيف معناها.

ب. أما الجملة الفعلية التي كانت تجيء تالية للعناوين المبدوءة بجمل اسمية، فمن الأمثلة عليها:

- إنفلونزا الخنازير!! ارتفعت حرارتي لما شفت أسعارهم... أعطيني فلوس بسرعة.
- نصائح للسناقر المقبولين في الجامعات لهذا العام: اشترى موبايل آخر موديل... ولا تحكي مع الأكبر منك.
- رهبة الحرية: احكي... احكي...

- الإصلاح هو: روح غيرلي اللون الكحلي اللّي تعودت ألبسه بلون بني... حتى كل الناس يلمسوا التغيير !!!

ج. الجمل الفعلية الواردة بشكل مباشر دون أن تعلوها العناوين.

- أربح قانون انتخاب عصري ولزير مع نجم الكوتا كولا...

- سامحن يا حجي، إحنا ما بنشتري زلام وبطلنا نتاجر فيهم !! وقررنا (نبيع الأصول).

- حان الآن موعد الأذان.

- سمعت كمان أن الشاب إللي بيتخرج من الجامعة بيبيض لغاية ما يلاقي وظيفة.

- دخلت عنده خمس دقائق لهف مني 20 ليرة، كل اللي عمله إنه قال لي استمر في تناول الدواء... بالفعل الأطباء بتعبوا ولازم يرفعوا الكشفية.

التعامل مع تلك القضايا المطروحة.

- المثال الرابع:



مع الزوجة الأولى + الصورة = أسد ومع الزوجة الثانية + الصورة = أرنب.

4- الخصائص الدلالية:

أسفر البحث في المستوى الدلالي عن الكشف عن جملة من الملامح الدلالية المستخدمة في النصوص اللغوية الواردة في اللوحات الكاريكاتيرية بغية تحقيق هدف نقل الرسالة وإيصالها للمتلقي. ومن هذه الملامح:

أ- التضاد، ويقصد به أن تتضمن النصوص الواردة في اللوحات الكاريكاتيرية مفردات أو جملاً متضادة في معانيها، مثل:

- إحنا ما بنشتري زلام... وقررنا نبيع الأصول.
- مدخلات التعليم مخرجات.
- مقالك اليوم عن الديمقراطية عجبني كثير.. شو عم تكتب لبكرة؟

- الحضور... الغياب.
- في بلدو... خارج بلدو.
- صواريخ الأرهاب الأعمى !! العدو... الصديق...
- القريب... الغريب،... الصالح... الطالح... المذنب... البريء.

- الإصلاح هو أن تعطي غمّاز يسار وتروح يمين.
- أمس - اليوم.

وقد يجيء أسلوب التضاد إن جاز ذلك على شكل تضاد لغوي أيقوني؛ كأن تأتي عبارة وتكون الصورة ضدها، مثل:

اللوحة الأولى: العبارة: تواصل اجتماعي لكن الصور ضدها



وهي انعدام التواصل.



الهانم + الصورة = الهانم، الرجل مثل الخاتم بأصبعها، وقراءة الرسالة على هذا النحو والوصول إلى معناها استند إلى مرجعيات ثقافية اعتمدها المرسل والمستقبل في نقل الرسالة واستقبالها إذ "لا بدّ من أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف، إما من لفظه أو من سياقه، حتى لا يكون اللفظ مخلاً بالفهم" (الزركشي، 1972) وهذه المرجعية تتمثل في استخدام موروث المثل الشعبي القائل: "مثل الخاتم بأصبعها" للتعبير عن درجة التحكم فيه والسيطرة عليه بحيث تستطيع أن تفعل به ما تريد ووقت ما تشاء.

- المثال الثاني: ويمكن تمثيله على النحو الآتي:



مدير إدارة + الصورة = مدير إدارة بمئة وجه

وقد ساعد على إيضاح المعنى المقصود الموروث الثقافي بأن هناك بعض الأشخاص لهم مئة وجه وفي كل مرة يلبسون قناعاً مختلفاً عن الآخر.

- المثال الثالث:



الخليجي في بلدو + الصورة = محتشم الخليجي خارج بلدو + الصورة = فابع.

الأردني في بلدو + الصورة = مكشر/ لا يضحك الأردني خارج بلدو + الصورة = يضحك ومبسط.

اللبناني في بلدو + الصورة = يحب فتاة واحدة اللبناني خارج بلدو + الصورة = يحب ويغازل فتيات.

السوداني في بلدو + الصورة = يغطي شعره السوداني خارج بلدو + الصورة = ينفش شعره على الموديل.

لقد نهض الوصول إلى المعنى المقصود على جملة من العادات والتقاليد والأفكار المأخوذة عن شعوب هذه الدول في

- يا مجرم يا مغتصب من حقي اختيار شريك حياتي !! وأنا من حقي حسب المادة (308) أكون شريك حياتك...
- وأنا من حقي حسب قانون المستأجرين الجديد أني أرميكو الجوز في الشارع إذا ما صليتو عالنبى الليلة.
- كيفك يا حبي... وكيفك يا عمري.
- احكي...! احكي... يا رجل احكي... احكي ويس ما عليك... ضوء أخضر بس أحكي... يا زلمة احكي يغص بالك.
- الحق عليه... الحق عليه... الحق عليه... الحق عليه...

- نواب الرقم المميز... ولك أنا رقم موبايلى مميز... ورقم سيارتي مميز... حتى رقمي الوطني خليتو بالواسطة مميز وبك إيانى أكون المرشح رقم ! (47)؟ يعدمني إياك 4747 مرة !!

وتجدر الإشارة هنا أن الخصائص الدلالية التي يستخدمها الرسام الكاركاتيري تؤدي وظائف لغوية مهمة؛ فالتضاد يعمل على إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه وإثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده.

أما الترادف فيستخدم لتكثير الوسائل للإخبار عما في النفس، والمراوحة في الأسلوب وطرد الملل عن القارئ، وقد يفسر أحد المترادفين الآخر ويكون شرحاً مفسراً له. أما التكرار فيأتي به الرسام لتثبيت فكرة ما في ذهن المتلقي وتأكيدا، ولغايات تنسيق الكلام أحياناً، ولمساعدة القارئ على فهم الرسالة النصية أيضاً.

خامساً: الخصائص المعجمية

كشف النظر في المنجز اللغوي لمادة البحث عن:

1. وجود ظاهرة التغريب اللغوي بشكل ظاهر، ويقصد بظاهرة التغريب "الاتجاه إلى الأجنبي من الكلمات والتراكيب الغريبة عن لغتنا واستخدامه بدلاً عن نظيره العربي، أي نقل الأجنبي من لغته -كما ينطق- وكتابته بحروف عربية" (كامل، 2003).

والأسماء المغربية تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما خضع للذوق العربي واندمج في اللغة واكتسب الطابع العربي وشاع استخدامه في العربية فأصبح جزءاً منها، وهذه تشبه الكلمات المعربة التي دخلت نسيج العربية وأصبحت منها. ومن الأمثلة عليها:

- ما جاءت فيه الكلمات الأجنبية مضافة إلى غيرها، نحو: أولمبياد أبو محجوب، باص الشعب.
- ما جاءت فيه الكلمة الأجنبية مضافة، نحو: عادات برجوازية.

اللوحة الثانية: العبارة هي: الإصلاح أن نتعامل مع الناس بالتساوي كآسنان المشط، والصورة بخلاف ذلك وهي عدم التساوي.



ب- **الترادف:** ويقصد به اجتماع لفظان أو أكثر على معنى واحد، مثل:

- يا رمز الإخلاص والتفاني.
- ضمن موجة الاعتصامات والمظاهرات، الفاسدون يعتصمون للدفاع عن مكتسباتهم.
- ... لأنني اشتغلت بالواسطة شغلة ما بفهم فيها... بس باخذ راتب ! أنا عالة.. أنا ترهل.. أنا حمولة زائدة.
- يابن الحسب والنسب...
- ويا فايز ادعس بنزين... ويا فايز دوس دوس - على هالشعب المتعوس.

ومع أن ظاهرة الترادف تتعلق باللغة لكنه قد يبدو من المحتمل أن ينسحب على المستوى الأيقوني أيضاً، أنظر مثلاً إلى اللوحة الآتية:



فصورة الروماني والأسترالي والصيني والبلدي تشير كلها إلى أنواع اللحوم، وصورة الشخص المعلق في الثلاجة تمثل اللحم، فكله يوجد تشابه بين جميع الأنواع المعروضة في الثلاجة إذ أنها جميعها لحوم معلقة.

- ج- **التكرار اللفظي،** ويقصد به أن يكرر النص الكاريكاتيري ألفاظاً معينة أو جملاً معينة بغية تأكيد المعنى، مثل:
- أنت مدير... وأنت رئيس قسم... وأنت بعثة على أوروبا... وأنت... وأنت !!!

- نعم لحقوق المرأة !! نعم نعم نعم !!
- الأقصى في خطر... وأنا مالي... الحرب على الإسلام... وأنا مالي... نهب ثروات العراق... وأنا مالي... الدولار يتدهور... مالي.

وقد نعيد سبب استخدام رسام الكاريكاتير للغة المحكية (العامية) إلى أسلوب الرسالة الكاريكاتيرية ذات الطابع الساخر والفكاهي، إذ قد يكون المستوى اللغوي العامي الأنسب له والأقرب إلى القراء، ناهيك عما تقدمه اللغة العامية من كسر لرتابة اللغة ودفع للملل عند المتلقي، على الرغم من أن جمهور الرسوم الكاريكاتيرية هم ليسوا من العوام، بل هم ممن يجيدون القراءة والكتابة.

سادساً: الخصائص الأسلوبية

1. التناص:

للتناص تعريفات مختلفة ومتنوعة، غير أن الذي قصدناه بالتناص هنا هو "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى" (جينيت، 1986).

ولهذا فإن النصوص الحاضرة في لوحات فناني الكاريكاتير "تتنفس بوساطة النصوص الغائبة وتحيا بها وتتكلم بأسستها، وهي لا تتكلم في زمن سابق على زمنها، وإنما تتكلم من خلال سياقاته وحضوره وحاضره" (الموسى، 2002).

ونجد أن أسلوب التناص حاضرٌ كثيراً في لوحات فناني الكاريكاتير، فقد وظفوا جملة من أشكال التناص في لوحاتهم للتعبير عن أفكارهم مع اللجوء أحياناً إلى التحوير أو الانحراف، وقد حدد الدكتور محمد مفتاح ست درجات للتناص هي: (التطابق، والتفاعل، والتداخل، والتحاذي، والتباعد، والنقاصي)، ومن هذه الأشكال:

أولاً: التناص الديني: يختار الرسام آية قرآنية أو جزءاً من آية أو حديثاً أو عبارة دينية... وينهض عليها فكرته بمزج النص الديني مع الفكرة المستحضرة في محاولة منه مسّ مشاعر المتلقي وكسب تفاعله مع الموضوع المطروح، ويتحقق نجاح هذا المزج بامتلاك القارئ القدرة على تحقيق التلاقح المطلوب بين النص الديني والفكرة المستحضرة. ومن الأمثلة على ذلك الآتي.

اللوحة الأولى:



تعبّر هذه اللوحة عن قيام الكاتب بكتابة مقالة عن

- ما جاءت فيه الكلمة الأجنبية متصلةً (ال التعريف)، نحو: الشات، الواتس أب.

الثاني: ما لم يخضع للذوق العربي، وهو ما جاءت فيه الكلمة أو التركيب الأجنبي كما هو بلغته الأصلية، ولكنه كتب بحروف عربية (دخيل)، وهذا يعد تغريباً. ومن الأمثلة على ذلك:

- نقل الكلمة من لغتها الأصلية وكتابتها بالحروف العربية، مثل: مكياج، موتور، ميسي، نيمار، مونتكارلو، لاس فيجاس، بمبكشن، موبايل، واكس، موديل. وهذا من أكثر ظواهر التغريب في لغة الكاريكاتيرات

- نقل الكلمة الأجنبية أو التركيب كما هو إلى العربية، (الدخيل) وكتابتها بحروف أجنبية، مثل: Gaz، Boss، Game، Vissa، over.

وقد نُفسر لجوء رسام الكاريكاتير إلى استخدام ظاهرة التغريب بالآتي:

أولاً: دخول اللفظ الأجنبي إلى اللغة العربية وشيوعه فيها قبل أن يتم إيجاد المقابل العربي له مما يصعب أحياناً استخدام هذا المقابل، وقد لا يكون الرسام بذاته على دراية أو علم بهذا المقابل العربي.

ثانياً: إن مهمة رسام الكاريكاتير تقوم على السخرية والتهكم من قضايا عديدة في المجتمع، وباعتبار أن تقليد الآخر في لغته يعد انبهاراً بالغريب وانهمازاً أمامه قد يلجأ رسام الكاريكاتير لاستخدام هذه الألفاظ أو التراكيب للمبالغة في نقده وسخريته من واقع المجتمع.

2. تداخل المستويات اللغوية (فصحى وعامية).

من الشائع أن اللغة المكتوبة مرتبطة بالفصحى، غير أن النظر في عينة البحث بين خلاف ذلك، إذ إن كثيراً من اللوحات الكاريكاتيرية استخدمت العامية بشكل موسّع ولافت، ومن الأمثلة على ذلك:

- شيلي نظرة هالبراءة واعلمي اشتراك في باصات عمان - إريد، وجيبي معك أجرة السكن، وخلي معك فراطة وموس كبّاس لباصات الحي الجنوبي، واشتري شماغ عشان العواصف الرملية المحتملة... وبوصلة وتذكارات عمان وبالمرّة تتساش إبريق الوطو وسجادة الصلاة والسلاح الشخصي!!

- سامحن يا حجي، إحنا ما بنشتري زلام وبطلنا نتاجر فيهم!! وقررنا (نبيع الأصول) لمستثمر (عربي مجهول)!! (شريك استراتيجي) ماهو شرواك!! (مزود خدمة) لبنتي ومطينا الأوراق!!

ونلاحظ هنا أن استخدام الألفاظ العامية لم يقتصر على كلمات فقط أو تراكيب بسيطة وإنما شمل النصوص كاملة.

وهو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات ويستثمر فنان الكاريكاتير التناسل التراثي للتعبير عن فكرته ونقلها للمتلقى، والأمثلة على ذلك كثيرة، نعرض منها الآتي:

أ- تناسل من الأمثال الشعبية، ومنها:

- إلهي يشوف مصيبة غيره تهون عليه مصيبيته.
- الأقربون أولى بالمعروف.
- بيت الضيق يوسع ألف صديق.
- من راقب الأنظمة مات همًا.

ب- تناسل من اللغة:

- نفي النفي إيجاب.

ج- تناسل من التقاليد:

- لا تشرب العصير بالكامل بعيدين يظنوا الناس إنا ما متحضرين.

د- تناسل من الأغاني:

دا حلمنا طول عمرنا حضن يضمنا كلنا كلنا

هـ- تناسل من العادات

- صلاة رحم.

و- تناسل من العلوم

- إنفلونزا المحروقات

- بصراحة أمك بومة !! وبخاف تتقلي عدوى إنفلونزا

الطيور.

2. الحوار: يعتمد كثير من رسامي الكاريكاتير إلى استخدام

أسلوب الحوار في نقل أفكارهم، ولا شك أن هذا الاستخدام في لوحاتهم التعبيرية يحقق للقارئ سرعة في الفهم وتوضيح الأفكار والمعاني وتفسيرها، ناهيك عما يقدمه أسلوب الحوار من متعة للمتلقى، انظر إلى الأمثلة الآتية:



الديمقراطية، ويتراءى له أنه تجاوز الخطوط الحمراء في مقالته ويستشعر قرب نهايته، ويحاول استحضار العقاب الذي سيناله بفعلته، فيقرر أن يكتب وصيته، ويحاول أن يستدعي مسألة الوصية بربط النتيجة المتوقعة بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 180]. وهذه الآية قد جاءت بعد أن ذكر الله وجوب القصاص والعقوبة في الآيتين السابقتين لهذه الآية وهي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ وهو نوع من أنواع الموت، أعقبها الله سبحانه بهذه الآية التي فيها ذكر الواجب المفروض على من حضره الموت، أي من ظهرت له أمارات وعلامات الموت ومقدماته، وجب عليه كتابة الوصية.

اللوحة الثانية:



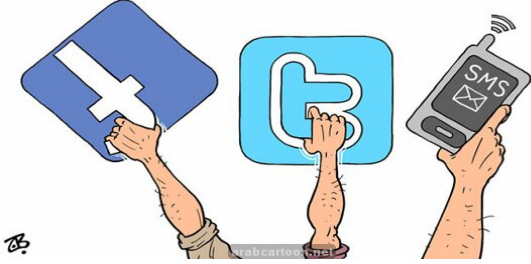
تصور هذه اللوحة مسألة صعوبة التربية في الوقت الحاضر وما يعانيه الوالدان من مشكلات في تأمين متطلبات حياة أولادهم، ويمثل لهذه الصعوبات بالصواريخ التي تهاجم الأبناء وكيف يحاول الوالدان حماية طفلهم من صواريخ الفقر والبطالة وغلاء الأسعار، وكيف يتلقون هذه الصواريخ ويبدلون أرواحهم فداء لأولادهم جاهدين تأمين متطلباتهم، وهذا الأمر يستدعي من الأبناء أن يتذكروا هذا وأن يدعوا لأبائهم وأمهاتهم بالرحمة تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]، وهو من باب ردّ المعروف، غير أن الصورة توحي بشعور الطفل الآن بصعوبة الحياة التي يعيشها والداه فيدعو لهما من الآن بالرحمة والمغفرة وهما لا يزالان على قيد الحياة.

ثانيًا: التناسل التراثي.

التراث كما يعرفه الكاتب صالح زيادنة هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل،

التي تحول جملة من الأسباب دون تناولها والحديث عنها بطريقة مباشرة، ونمّثل لهذا بالآتي:
المثال الأول: انظر إلى اللوحة الآتية:

أسلحة الثوار في الألفية الثالثة :



يعرض هذا الكاريكاتير صورة أيدي مجموعة من الأشخاص يحمل كل واحد منهم طريقة من طرق التواصل الاجتماعي وهي (الفيس بوك، والتويتر والأس أم أس) وتظهر طريقتهم في حمل هذه الوسائل كشخص يقبض على السلاح، واللوحة تعبّر عن التغير في أساليب الثوار؛ حيث استبدلت الأساليب الحديثة وهي الكلمة والفكرة بالسلاح التقليدي القديم. أي أنها اعتمدت على العقل والفكر كأدوات في التغيير والحرب واستنهادهم الهمم، وإلى جانب ذلك نستطيع أن نقرأ النص في بنيته العميقة ونقف على رسائل أخرى لم يصرح بها وتالياً تبيانها:

- أسلحة الثوار في الألفية الثالثة في أحسن حالاتها هي مجرد كلام وعبارات واستكارات وتغريدات يتناقلها الناس عبر مواقع التواصل الاجتماعي بطرقه المختلفة (فيس بوك، تويتر، رسائل نصية) وهي هنا من باب الاستخفاف والسخرية بالاهتمام بالقضايا الجوهرية.
 - الثورات التي قامت في الألفية الثالثة كانت عن طريق استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.
- المثال الثاني:



يعرض هذا الكاريكاتير صورة مذبحة جديدة تقود سيارتها متجهة إلى التلفاز، وتجر خلفها عربة محملة بأدوات التجميل



3. التكثيف والسكوت:

بالرغم من أن اللوحة الكاريكاتيرية حدث تواصل يهدف إلى نقل رسالة أو فكرة ما، وهذا يعني ضرورة توفره على نص لغوي يقوم بهذا الدور، إلا أن رسام الكاريكاتير يعتمد في كثير من الأحيان إلى اختيار بعض الكلمات أو العبارات الموجزة أو الصور المعبرة لنقل رسالته، وفي الوقت نفسه يخفي رسائل أخرى لا يصرح بها وإنما يتركها لفهم المتلقي وقدرته على التفكير والتحليل والتركيب واستنتاج النص والوصول إلى أفكار قصدها وأخرى لم يقصدها، ومن ميزات هذا الأسلوب الوصول بالقارئ إلى مستويات عليا في القراءة تفتح على التفسير والتأويل وتبتعد عن الاستنساخ، كما أنه يعمل على تلبية رغبات القراء بمختلف مستوياتهم اللغوية والثقافية، ويفتح لهم باب المشاركة في الوصول للفكرة المقصودة، ويلعب هذا الأسلوب دورًا كبيرًا في مساعدة الرسام في التعبير عن فكرته

في الواقع تمثل أحياناً بنية غائبة.

ومن تلاحق النسق اللساني مع النسق الأيقوني في إطار السياقات الخارجية: الثقافية والاجتماعية والسياسية... تتولد الدلالة، إذ إن هذه الأيقونات تحمل رؤى المجتمع وثقافته وهي مرآة تعكس ما يجري في المجتمع من أحداث وتفاعلات كما أنها في كثير من الأحيان ترتد إلى مخزون فكري وديني وثقافي...

ولهذا يعدها بيرس "نوع من العلامات؛ فهي تدخل في علاقة مع الواقع الخارجي وتظهر خصائص الشيء المشار إليه، بمعنى أن الشيء يكون أيقونة لشبهه عندما يستخدم علامة له" (قاسم، 2014).

ولهذا يتوجب على قارئ اللوحة الكاريكاتيرية التنقل بين النسق اللساني والنسق الأيقوني في إطاريهما السياقي ومرجعياتهما المختلفة للوصول إلى معنى الخطاب الكاريكاتيري، فالمعلومات السابقة تفيد المتلقي في " تحديد الموقف الذي أنشئ فيه النص، ومن ثم التمكن من تحليل الخطاب بناء عليها " (عفيفي، 2001).

ومن الأمثلة على ذلك الآتي:

اللوحة الأولى: صراع البقاء!!



يتضح في هذه اللوحة أنها تشتمل على مجموعة من العناصر اللغوية المتمثلة في بعض الجمل والعبارات ومجموعة من العناصر الأيقونية الممثلة بالخطوط والألوان...

ويبدو أن الحضور الأيقوني يطغى على الحضور اللساني في اللوحة، فقد غطى اللون البني البني الجزء السفلي من اللوحة الذي مثل الأرض، وغطى اللون الأصفر فالأسود الجزء الأكبر من صورة الأسد، بينما كوّنت الألوان الأخرى: الأبيض والأحمر والأزرق بقية عناصر اللوحة الأيقونية الأخرى؛ الرجل والياقطة.

ولقد شكّلت العبارات الموجودة في اللوحة مفاتيح تتعلّق مع الصورة في إطار سياقي معرفي إلى توليد الدلالة؛ فصراع البقاء، وحيوان مفترس مهدد بالانقراض واقترانها بصورة تمثل

(المكياج) وهذه الصورة في ظاهرها تعبر عن مدى اهتمام المذيعات بزينتتهن.

أما البنية العميقة لهذه اللوحة، فهي:

- إن المذبة تهم بزينتته وشكلها الخارجي ولذلك هي تحمل أكبر قدر من أدوات التجميل، وكان من المؤمل أن يكون جل اهتمامها أن تذهب إلى التلفاز وهي محمّلة بالأفكار والثقافة وهو جوهر دورها في التلفاز.

- إن المذبة عندما تظهر على شاشة التلفاز كأنها تقوم بدور تسويقي خفي لهذه المنتجات من أدوات التجميل وهذا يكون على حساب الموضوع الذي تقدمه.

- كأن المذبة تريد أن تصرف نظر المشاهد إلى زينتها وجمالها عوضاً عما تقدمه، وكأنها تستخدم هذا التزيين لتغطية عيوب أخرى في شخصيتها.

- قد تشير إلى مستوى ذوق المشاهد في الوقت الحاضر الذي بدأ يهتم بالشكل الخارجي والجمال على حساب الشخصية والفكر والثقافة والجوهر، وهذا يدل على تراجع الذوق لديهم.

ونلاحظ في هاتين اللوحتين إيجازاً كبيراً في النسق النصي وفي المقابل تكثيف كبير للمعنى جعلهما تفتتحان على إيجاءات كثيرة تخرجها من الكمون إلى النجوز، وقد يقع القراء على رسائل وأفكار أخرى لم استشفها أو أكتشف عنها.

ثانياً: المقاربة الأيقونية

مهما يبلغ النسق اللساني من فعالية إلا أنه يظل قاصراً عن أداء المعنى المطلوب، لذلك يلجأ رسام الكاريكاتير إلى استخدام النسق غير اللساني (الأيقوني) بما فيه من خطوط وألوان وظلال وحركات...، وبعد" الأيقون هنا عنصراً أساسياً في تحليل هذا النوع من الخطابات" (نوسي، 1990)؛ فالصورة لها تأثيرها في نفس المتلقي، إذ تقدم الأيقونة وظيفة جمالية عندما تكون مبنية بشكل غامض، يدفع المتلقي إلى الاهتمام وبذل المزيد من الجهد للكشف عن المعنى المجهول.

كما أن الصورة تلعب دوراً فاعلاً في إبراز قيمة النص وبيان أهمية المادة المنشورة، وهي في واقع الحال إعادة صياغة لمعنى النسق اللساني بأسلوب آخر، كما أنها تساعد في إضفاء حالة من الحيوية على النص اللساني؛ حيث إنها تجسّد الألفاظ وتنقلها من حالة الجمود إلى حالة الحركة.

لقد طرق الدرس السيميائي أبواب الأنساق غير اللغوية، ففتح باب سيميائيات الخطاب البصري؛ فوجود هذه الخطابات المتمثلة بالصور إلى جانب النص يحوّل النص إلى مؤشرات على حالات نفسية أو اجتماعية أو معاني فكرية...، فالصورة

بين النسق اللساني المتمثل في كلمة (حل)، والأيقوني المتمثل في رسم خارطة فلسطين تحل وتذوب داخل كأس من الماء.
اللوحة الثالثة: نبض الشارع



تتشكل هذه اللوحة من مجموعة من الإيقونات التي تمثل صورة لرجلين يجلسان على الشارع، ويضع أحدهما سماعة طبية على أذنيه بهدف قياس نبض الشارع لمعرفة حالته الصحية، بينما يجلس إلى جانبه رجل آخر ينتظر نتيجة الفحص، ومن العناصر الأيقونية الأخرى، صورة ملونة للرصيف المحيط بالشارع الذي يبدو خالياً من الناس.

أما النص اللغوي (العوض بسلاطك) فقد لعب في هذه اللوحة دوراً تنبيهاً مهما ذكر المتلقي بالعبرة التي يقولها الناس عندما يفقدون عزيزاً عليهم أو يفقدون شيئاً ما.

وقد جاءت هذه العبارة كجنس من المحاكاة الساخرة لعبارة من الموروث الشعبي الذي يتداوله الناس عند فقدهم شيئاً مهماً في حياتهم؛ فالمحاكاة الساخرة تقوم على محاكاة " النص المصدر، وتكمن قوتها في التوتر القائم بين التقارب الذي يقرب ما بين النصين والاختلاف الذي يفصل بينهما" (السماوي، 2002)؛ وقد رفع النسق اللساني في هذه اللوحة الستار عن النسق الأيقوني وصرح بما يشير إليه؛ فصورة السماعة الموجودة على أذني أحد الرجلين صورة رمزية نذكرنا بمشهد الطبيب الذي يستعمل السماعة في فحص المريض من خلال الاستماع إلى الأصوات التي يصدرها قلبه وشرابينه ورئتيه، وقد استخدم الرسام هذه الأيقونة للدلالة على ما أصبح عليه حال المواطن الأردني من سكوت تجاه ما تتخذه الحكومة من قرارات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية، إلخ.

وقد وظف الرسام هذه الأيقونات لتوجيه رسالة خفية إلى أصحاب القرار، مفادها أنه لا ضرورة لعمل مجسات لمعرفة رأي الشارع عند اتخاذ إجراءات أو قرارات تتعلق بشؤون حياته؛ فالناس ميتون لا نفس لهم.

ويبرز في هذه اللوحة الترادف اللساني الأيقوني بين كلمة (نبض) وأيقونة (وضع السماعة على الشارع) واستخدام التناص العلمي التقني بينهما للتعبير عن الفكرة.

نوفاً من الحيوانات المفترسة هو (الأسد) ولجوء الكاتب إلى تقريب شكل الصورة من شخصية معروفة لتلقي في اسمها مع اسم هذا الحيوان، ووضع صورة شخص ملطخ بالدماء وهو يحمل يافطة كتبت عليها كلمة حرية في فم هذا الحيوان، وفي ظل السياق المقامي الحالي للوضع في سوريا من ثورات ومطالبات بإسقاط النظام فإن اللوحة تعبر عن قرب نهاية نظام الرئيس بشار الأسد، حيث إنه يعيش الآن في حالة صراع مع الشعب الذي يطالب بالحرية، ويتضح أنه لا يوفر جهداً في إجهاض هذه الثورة المطالبة بالحرية.

اللوحة الثانية: حل القضية



ينهض بناء هذه اللوحة على تكثيف عناصر الأيقوني؛ فالرسام لا يسرف في رسم أيقونات اللوحة التي تعبر عن واقع القضية الفلسطينية السياسي؛ فقد استخدم أيقونة الخارطة الدالة على فلسطين وأيقونة النجمة المرسومة على كأس دالة على دولة إسرائيل وأيقونة اللوحة المربوطة من خلال خيط بخارطة فلسطين الدالة على الولايات المتحدة الأمريكية.

وتتحول هذه الأيقونات من مجرد رسومات وخطوط إلى لوحة مشحونة ومكتظة بأفكار ومعان تجسد واقع القضية بأسلوب أيقوني مكثف ناب عن اللغة بطريقة عالية؛ فالعناصر الأيقونية تكشف عن دور الولايات المتحدة الأمريكية الخفي تجاه حل القضية الفلسطينية باعتبارها اللاعب الأساسي فيها وبين سياستها المساندة لإسرائيل؛ فالرسام جعل صورة خارطة فلسطين مربوطة بخيط يتصل بصورة تشير إلى الولايات المتحدة الأمريكية في إشارة منه إلى أن حل القضية مرهون بيد أمريكا، ثم وضع هذه الصورة التي ترمز للقضية الفلسطينية في كأس مملوء بالماء تملكه إسرائيل، لتقوم إسرائيل بدورها بتذويب هذه القضية وحلها كما تريد، وبرعاية أمريكية.

وتكشف اللوحة في بنيتها العميقة عن تناص خفي بين أيقوناتها والمثل العربي القائل: (انقعه واشرب ميتة)، في محاولة من الرسام التعبير عن دعم أمريكا لإسرائيل والسماح لها بأن تفعل بالقضية الفلسطينية ما تريده.

ويلحظ المتلقي في هذه اللوحة التناص اللساني الأيقوني

اللوحه الرابعة: حلول (عصرية)!!



لقد ضمت اللوحه في طياتها عناصر لغوية وعناصر أيقونية، غير أنّ العناصر الأيقونية أكثر حضوراً من العناصر اللغوية، وقد تمثلت العناصر الأيقونية برسم صورة لشخص ضخم يلبس نظارة ويرتدي ملابس فاخرة وأنفه كبير ويوجد خطوط على وجهه، ويمسك بقوة بشخص آخر نحيل الجسم ويضغط عليه محاولاً عصره، وهذا الشخص يمثل أحد المواطنين، وفي الصورة يوجد صورة لدلو وضع أسفل جسم المواطن ويتساقط فيه نقود تنزل من جيبه بسبب العصر.

ويبدو أنّ غاية الرسام في إظهار الملامح الجسدية لشخصية الرجل الضخم على هذا النحو مستخدماً أسلوب التضاد بين الأحجام إبراز ما تتصف به هذه الشخصية من قسوة وشدة "مما يجعله في نظر المتلقي طاغياً على ما عداه من صفات" (الحكيم، 1988).

ومن تعالق العبارات التي سبجت الأيقونات في اللوحه في إطار سياقها المقامي، تكشف الدلالة؛ فمن المعروف أنّ الحكومة الأردنية تلجأ دائماً في معالجتها لعجز الموازنة إلى جيب المواطن، في محاولة من الباث إبراز عجز الحكومة في تخفيض عجز موازنة الدولة، والمبالغة في لجوئها الدائم إلى جيب المواطن لحل مشكلاتها المالية.

الخاتمة

وبعد قراءة مجموعة من الرسوم الكاريكاتيرية والكشف عن التعالق بين النص اللغوي والنص الأيقوني فإنّه يمكننا إضافة مجموعة من الوظائف الأخرى التي يمكن للفن الكاريكاتيري تقديمها ببعديه اللساني والأيقوني، مثل:

أولاً: الوظيفة التوجيهية للدلالة؛ إذ تُحيل الرسوم الكاريكاتيرية على قراءة خطابه وتأويله وفق ما تبدي من خطوط وألوان وظلال، وما يترتب على ذلك من توضيح للأفكار وقدرة على التأثير في المتلقي.

ثانياً: الوظيفة الإيحائية للرسومات؛ فالرسومات

الكاريكاتيرية قد لا تصرّح بكل ما تريده، وإنّما تنتقي جملاً وعبارات تحمل رسالة معلنة واضحة يريدتها المرسل وتخفي رسالة يتركها لفهم المتلقي وقدرته على التخيل والتحليل والتركيب، وتوليد أفكار جديدة وعميقة، وفتح أبواب من القراءات التفسيرية والتأويلية المأهولة بعالم من الدلالات والمعاني والأفكار بطريقة ممتعة لما تحمله تلك الرسومات من علامات حافلة بتلك المعاني؛ فهناك العديد من الرسائل الدفينة التي يمكن الكشف عنها واستنتاجها.

ثالثاً: وظيفة تعبيرية إنتاجية؛ إذ تسمح الرسوم الكاريكاتيرية باستحضار مفردات ومعلومات وتوظيفها في تركيب وأشكال لغوية تعبّر عن الرسم، فقراءة الرسم في الواقع تتمظهر في إطارين:

أولهما: يتمثل في إعادة إنتاج اللغة؛ حيث أنّ الخطوط الكاريكاتيرية رسومات وعلامات مرئية ترتد إلى معاني وأفكار غائبة عن العيان لكنها منجز لغوي خفي غير ظاهر يحمل معاني عدة موجودة في خبرة الشخص المنتج للرسم الكاريكاتيري يقوم القارئ باستنتاجها وإعادة إنتاجها بأسلوبه وطريقته.

وثانيهما: يتمثل في إنتاج لغة جديدة وإحداث جمل لم تقل بعد؛ فبالنظر إلى الخطوط والألوان الكاريكاتيرية وما تحمله من إحياءات مليئة بالدلالات وما يرافقها من تساؤلات واستفسارات يستطيع المتلقي توليد معاني جديدة من تجربته الخاصة في شكل لغوي يشرح ويفسر ويتهمك ويشجع وبفضح... وتظل هذه القراءة مفتوحة أمام ولادة دلالات ومعاني جديدة قابلة للطرح.

رابعاً: وظيفة ثقافية عالمية؛ يعدّ الرسم الكاريكاتيري شكلاً من أشكال اللغة، ينقل مضمون الرسالة عن طريق الرموز التي يستخدمها، وهو لغة عالمية لا تحتاج إلى ترجمة، وهو من أفضل الوسائل المستخدمة لجذب القراء ونشر الثقافات بغض النظر عن مرجعياتهم الثقافية واللغوية والدينية...

خامساً: الوظيفة التشخيصية؛ فالرسومات الكاريكاتيرية تجسّد الأفكار فتتحول من مجرد أفكار ذهنية إلى أشكال وصور تعبيرية تكون أقرب لفهم الفكرة أو الرسالة.

سادساً: وظيفة الاقتصاد اللغوي؛ يسهم الرسم الكاريكاتيري في منظومة التخطيط اللغوي باعتبار أنّ الاقتصاد اللغوي أحد مطالبه؛ فالكاريكاتير لغة بصرية عالمية مختصرة، وهو "فكرة مختصرة يمكن بها استبدال النص؟؟؟" أو كتابة مقال.

سابعاً: وظيفة تسجيلية توثيقية؛ فهي تسهم في تدوين التاريخ وتوثيقه وحفظه.

ونستطيع أن نقول: إنّ الرسوم الكاريكاتيرية تصلح لاستخدامها كمادة تعليمية في مجالات متنوعة.

المصادر والمراجع

- الشرق، ص84.
 قاسم، س. (2014) مدخل إلى السيموطيقا، دار التنوير للطباعة والنشر، ص252.
 القضاة، ع. (2008) الصحافة الأردنية واتفاقيات السلام، ط1، عمان، دار كنوز المعرفة، ص174.
 كامل، و. (2003) بحوث في العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ص14.
 معجم المعاني.
 الموسى، خ. (2000) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ص54.
 نوسي، ع. (1990) بلاغة الكاريكاتير السياسي، السخرية والإدانة في رسوم ناجي العلي، باريس، مجلة الوحدة، العددان 70، 71، ص82.
 ياقوت، م. (1996) فن الكتابة الصحيحة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص287.
 Hansen, A.Cottle, S., Virgin, R. Newbold, C. (1998) *Mass Communication Research Methods*. London Macmillan Press.
- البوجديدي، ع. (2013) الفضاء في الكاريكاتير الساخر، مجلة الكوفة، ع2، ص194.
 الجرجاني، ع. (1989) دلائل الإعجاز، ط2، القاهرة، مطبعة المدني، ص146.
 جينيت، ج. (1986) مدخل لجامع النص، ترجمة عبدالرحمن أيوب، ط2، المغرب، دار توبقال، ص90.
 الحكيم، ت. (1988) فن الأدب، ط1، مصر، مكتبة مصر، ص31-32.
 حمادة، م. (2000) فن الكاريكاتير في الصحافة الدورية، دمشق، دار عشترو، ص176.
 الزركشي، (1972) البرهان في علوم القرآن، ط2، لبنان، دار المعرفة، ص111.
 الشامي، ع. (1990) عفاريت الصحافة، صنعاء، ص73.
 عبدالنواب، د. (1995) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص24.
 عفيفي، أ. (2001) نحو النص اتجاه جديد، القاهرة، مكتبة زهرة

Approaches in Analysing Caricatural Speech

Fatimah Mohammad Olaimat *

ABSTRACT

This study aims to explore some of the elements that make the caricatural speech a symbolic speech through studying its lines, colors, shadows, and brief simple language which has the ability to convey a message that can be understood directly and easily or indirectly. A message that can create an understanding to its recipient about a case in this world by using caricatural drawings whose aim is to uncover these approaches and why they are different.

Keywords: Approach, Caricature, Symbol, Linguistics, Analysis.

* Faculty of Arts, The University of Jordan. Received on 13/12/2015 and Accepted for Publication on 13/1/2016.